

26

الجزء الثالث

الجزء الثالث
على أرض مدين

مدين

بقلم: ا. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم: ا. عبد الشافي سيد

إشراف: ا. حمدي مصطفى



تَرْبَى نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ
مِصْرَ ، حَتَّى بَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَأَدَّبَهُ رَبُّهُ بِأَدَبِ الْأَنْبِيَاءِ ،
فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ ، فَآتَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا .. وَقَدْ كَانَ
مُوسَى نَصِيرًا قَوِيًّا لِأَبْنَاءِ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
ضِدَّ ظُلْمِ الْمِصْرِيِّينَ لَهُمْ .. فَالْمِصْرِيُّونَ يَعْرِفُونَ
أَنَّهُ ابْنُ الْفِرْعَوْنَ ، وَلِذَلِكَ يَعْمَلُونَ لَهُ أَلْفَ حِسَابٍ
وَيَخَافُونَ بَطْشَهُ ..

وَقَدْ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا قَوِيًّا ، لَكِنَّهُ كَانَ
سَرِيعَ الْغَضَبِ وَالْإِنْدِفَاعِ ، شَدِيدَ الْبَطْشِ فِي لَحْظَاتِ
غَضَبِهِ ..

وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ كُلَّمَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ ظَلَمٌ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، لِيَرْفَعَ الظُّلُمَ عَنْهُمْ ..
وَبِرْغَمِ تَرْبِيَّتِهِ فِي قَصْرِ الْفِرْعَوْنَ فَقَدْ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ ابْنُ الْفِرْعَوْنَ ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ نَصِيرُهُمْ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ مُوسَى مِنْ قَصْرِ الْفِرْعَوْنَ ، وَسَارَ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ .. رُبَّمَا خَرَجَ لِلتَّنَزُّهِ ، أَوْ لِقَضَاءِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، فَرَأَى مِنْظَرًا أَثَارَ غَضَبِهِ ، وَجَعَلَ الدَّمَاءُ تَتَدَفَّقُ فِي عُرُوقِهِ بِقُوَّةٍ مِنَ الْإِنْفِعَالِ .. فَمَاذَا رَأَى ؟

رَأَى مُوسَى رَجُلَيْنِ يَتَشَاجَرَانِ .. كَانَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ مِصْرِيًّا مِنْ رِعَايَا الْفِرْعَوْنَ ، وَكَانَ الرَّجُلُ الْآخَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَوْمَ مُوسَى ..

وَكَانَ الرَّجُلُ الْمِصْرِيُّ يُضْرَبُ الْإِسْرَائِيلِيَّ
بِقُوَّةٍ .. كَانَ يُحَاوِلُ قَتْلَهُ .. وَرَأَى الرَّجُلُ
الْإِسْرَائِيلِيَّ مُوسَى ، فَاسْتَعَاثَ بِهِ ، وَنَادَاهُ لِيُسَاعِدْهُ
عَلَى ضَرْبِ الْمِصْرِيِّ .. وَتَقَدَّمَ مُوسَى مُحَاوِلًا
إِبْعَادَ الرَّجُلِ الْمِصْرِيِّ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ، وَدَفَعَهُ
دَفْعَةً قَوِيَّةً ، فَسَقَطَ الْمِصْرِيُّ عَلَى الْأَرْضِ قَتِيلًا ..
مَاتَ الرَّجُلُ الْمِصْرِيُّ ، وَلَمْ يَكُنْ مُوسَى يَقْصِدُ
قَتْلَهُ ..

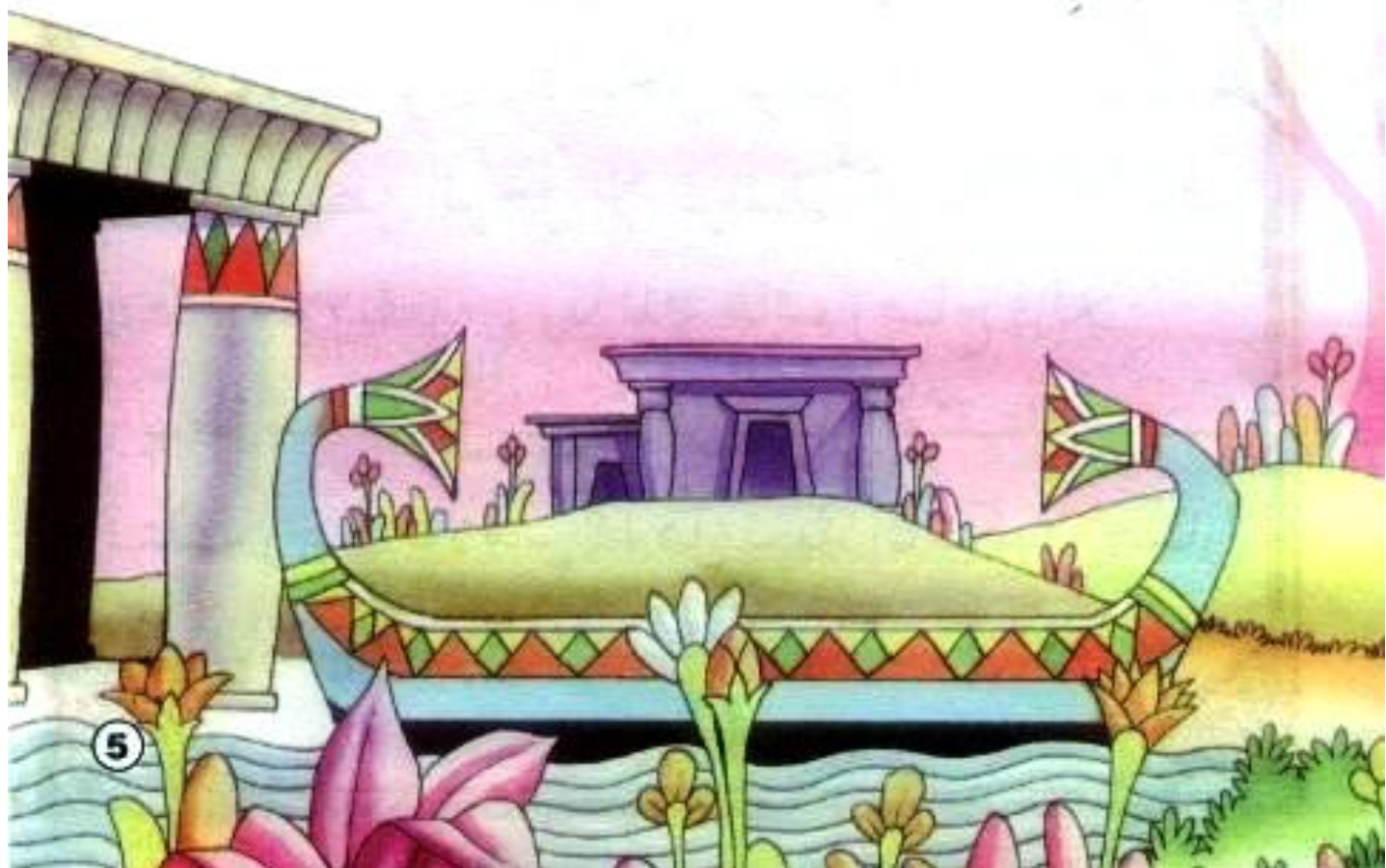
وَقَفَ مُوسَى يَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ الْقَتِيلِ عَلَى الْأَرْضِ
مَذْهُولًا .. وَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ ذُحُولِهِ ، وَذَهَبَ عَنْهُ
الْغَضَبُ ، نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا عَلَى تَسْرُعِهِ .. وَبَطْشِهِ
بِهِ وَأَرْجَعَ مَا حَدَثَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ،
فَقَالَ :

﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾
وَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ قَائِلًا :

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَغَفَرَ لَهُ ، لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ أَنْ يَقْتُلَ الرَّجُلَ .. وَمِنْذُ هَذِهِ
اللَّحْظَةِ قَرَّرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلَّا يَكُونَ نَصِيرًا
لِلْمُجْرِمِينَ ..

وَمَضَى مُوسَى بِعِيدًا عَنْ مَسْرَحِ الْجَرِيمَةِ ، وَمِنْ
الْوَاضِحِ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمَصْرِيِّينَ لَمْ يَشَاهِدْ مُوسَى ،
وَهُوَ يَصْرَعُ الرَّجُلَ الْمَصْرِيَّ .. وَلِذَلِكَ أَخَذَتِ
الشُّرْطَةُ تَبَحْثُ عَنِ الْقَاتِلِ لِيُنَالَ عِقَابُهُ عَلَى هَذِهِ
الْجَرِيمَةِ ..



وَلَمْ يَعِدْ مُوسَى إِلَى قَصْرِ الْفِرْعَوْنَ مَرَّةً أُخْرَى ،
بَلْ بَاتَ لَيْلَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ
الْقَبْضَ عَلَيْهِ فِي آيَةٍ لَحْظَةٍ ، وَتَقْدِيمَهُ إِلَى الْفِرْعَوْنَ ،
لَيْنَالِ جَزَاءَهُ ، لِأَنَّهُ قَتَلَ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ، كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَائِرًا فِي
شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ ، فَرَأَى نَفْسَ الرَّجُلِ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ الَّذِي نَادَاهُ لِنُصْرَتِهِ بِالْأَمْسِ ، مُشْتَبِكًا
فِي عِرَاكِ مَعَ رَجُلٍ مِصْرِيٍّ آخَرَ ..

وَنَادَى الرَّجُلُ الْإِسْرَائِيلِيَّ مُوسَى ، لِيُسَاعِدَهُ فِي
ضَرْبِ الْمِصْرِيِّ ، فَتَدَخَّلَ مُوسَى لِفَضِّ الْاِشْتَبَاكِ
بَيْنَهُمَا ، فَظَنَّ الرَّجُلُ الْإِسْرَائِيلِيَّ أَنَّ مُوسَى سَوْفَ
يَبْطِشُ بِهِ وَيَقْتُلُهُ ، وَلِذَلِكَ خَافَ وَصَاحَ قَائِلًا :

— مَا هَذَا يَا مُوسَى .. هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا
قَتَلْتَ رَجُلًا بِالْأَمْسِ ؟ ! هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا
فِي الْأَرْضِ ؟ !

وَعَرَفَ الْمَصْرِيُّونَ الْحَاضِرُونَ أَنَّ مُوسَى
هُوَ قَاتِلُ الْمَصْرِيِّ بِالْأَمْسِ ، وَالَّذِي تَبَحَثُ عَنْهُ
الشَّرْطَةُ ، فَذَهَبُوا وَأَبْلَغُوا عَنْهُ ..

وَسَارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ ..

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عَلِمَتِ الشَّرْطَةُ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ
الْقَاتِلُ الَّذِي يَبْحَثُونَ عَنْهُ لِلْقِصَاصِ مِنْهُ ، وَعَلِمَ
فِرْعَوْنُ فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ مُوسَى ..

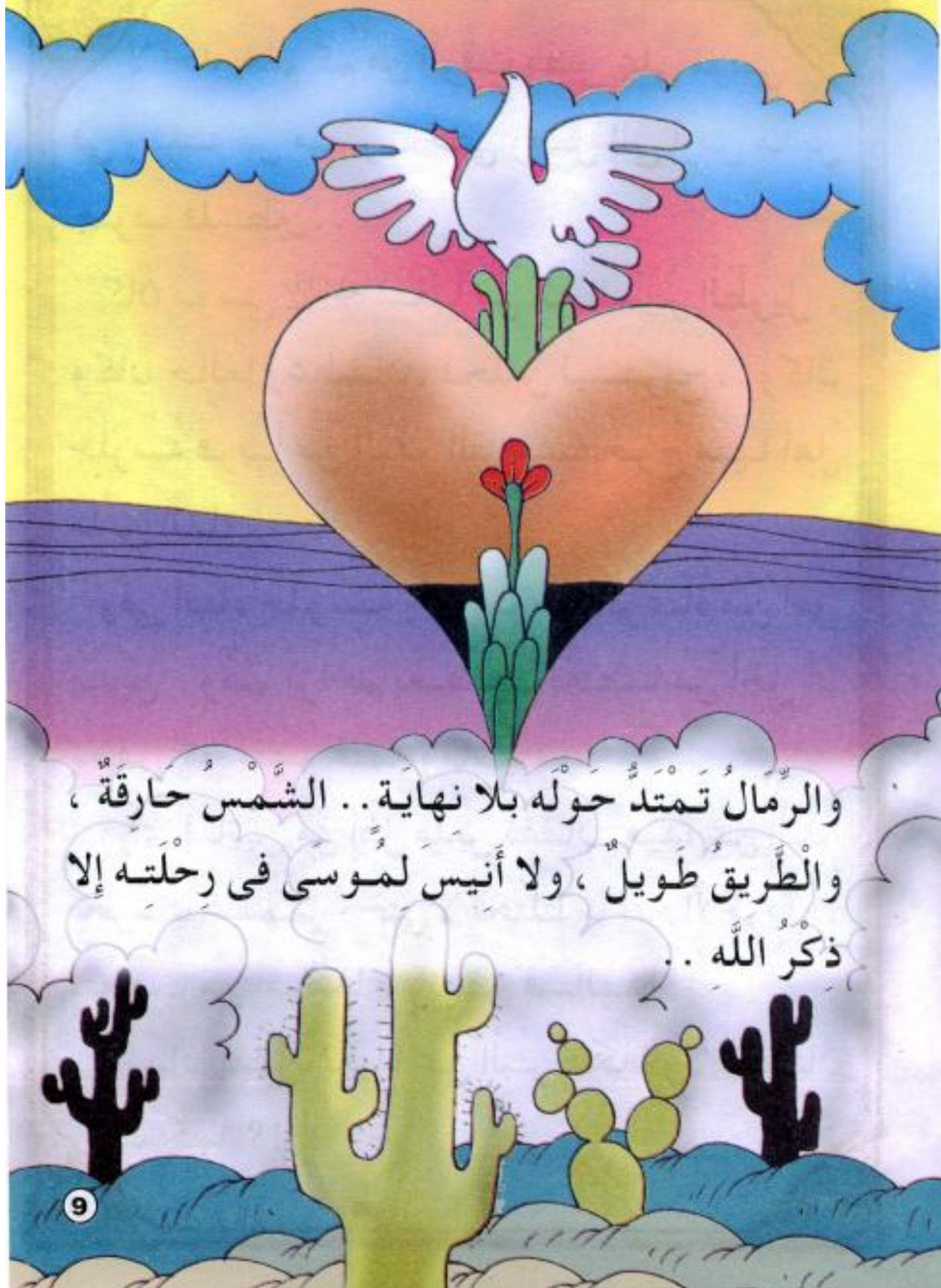
وَكَانَ مِنْ بَيْنِ حَاشِيَةِ فِرْعَوْنَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ، لَكِنَّهُ
كَانَ يُخْفِي إِيمَانَهُ ، كَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ الْفِرْعَوْنَ
تُخْفِي إِيمَانَهَا ؛ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الْفِرْعَوْنَ .. فَلَمَّا
عَلِمَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْفِرْعَوْنَ قَدْ أَصْدَرَ قَرَارَهُ
بِقَتْلِ مُوسَى ، أَسْرَعَ يَبْحَثُ عَنْ مُوسَى فِي شَوَارِعِ
الْمَدِينَةِ ، حَتَّى عَشَرَ عَلَيْهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَرَارَ قَتْلِهِ قَدْ صَدَرَ ، وَأَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ

عنه ليقتلوه.. ونصح ذلك الرجل موسى
بسرعة الخروج من المدينة ، ومغادرتها قبل أن
يقع في أيديهم..

وأطاع موسى أمر الرجل المؤمن ، فغادر المدينة
خائفاً ، وهو يترقب أن يلقي رجال الفرعون
القبض عليه في أية لحظة.. وفي أثناء ذلك كان
يدعو الله ، طالباً منه أن ينجيه من القوم
الظالمين..

وهكذا مضى موسى عليه السلام وحيداً ، لا يحمل
شيئاً من متاع الدنيا ، لكن الإيمان في قلبه كان
هو النور الذي يضيء له الطريق..

خرج موسى من مصر ، وسار في صحراء سيناء..
لم يكن يقصد مكاناً محدداً ، لكن هدفه كان الفرار
من فرعون وجنوده.. كانت الصحراء قاحلة ،



والرَّمالُ تَمْتَدُّ حَوْلَهُ بِلا نِهايةٍ .. الشَّمْسُ حارِقَةٌ ،
والطَّرِيقُ طَوِيلٌ ، ولا أُنيسَ لِمُوسى في رِحْلَتِهِ إِلَّا
ذِكْرُ اللَّهِ ..

لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ كَمَ مِنْ الْوَقْتِ مَضَى عَلَى مُوسَى
فِي رِحْلَتِهِ مِنْ مِصْرَ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ
جَنُوبَ فِلَسْطِينَ ..

كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَبًا مِنْ أَثَرِ السَّيْرِ الطَّوِيلِ ،
وَكَانَ جَائِعًا وَعَطْشَانًا ، فَجَلَسَ لِيَسْتَرِيحَ .. وَكَانَ
جُلُوسَهُ قَرِيبًا مِنَ الْبَيْتِ الَّتِي يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا أَهْلُ
مَدْيَنَ الْمَاءَ ..

وَفِي أَثْنَاءِ جُلُوسِهِ رَأَى مُوسَى الرُّعَاةَ مِنْ أَهْلِ
مَدْيَنَ ، وَهُمْ يَزَاحِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ أَجْلِ أَنْ
يَسْقَى كُلُّ مِنْهُمْ غَنَمَهُ وَمَاشِيَتَهُ ..

وَرَأَى فِتَاتَيْنِ مِنْ أَهْلِ مَدْيَنَ تَقِفَانِ بَعِيدًا عَنِ الْبَيْتِ
تَحْرُسَانِ غَنَمَهُمَا ؛ حَتَّى لَا تَخْتَلَطَ بِأَغْنَامِ الْآخَرِينَ ..
فَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْرِهِمَا ، وَنَهَضَ فَسَأَلَهُمَا :

- لِمَاذَا تَقِفَانِ بَعِيدًا عَنِ الْبَيْتِ هَكَذَا وَلَا تَسْقِيَانِ
غَنَمَكُمَا ؟ !

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ قَائِلَةً :

- نحنُ ننتظرُ حتى ينتهي الرِّعَاةُ مِنَ السَّقْيِ ،
لأننا لا نحبُّ الاختِلاطَ بِالرُّجَالِ ، ولا نَقْدِرُ عَلَى
مُزَاحَمَتِهِمْ ..

وَعَرَفَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْفَتَاتَيْنِ أَنَّهُمَا تَقُومانِ
بِرْعَى الْأَغْنَامِ ، لِأَنَّ أَبَاهُمَا شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَقْدِرُ
عَلَى الْخُرُوجِ لِلرَّعْيِ .. وَأَنَّهُمَا تَنْتَظِرَانِ حَتَّى
يَسْقَى الْجَمِيعَ وَيَنْصَرِفُوا ..

فَأَشْفَقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْفَتَاتَيْنِ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى
الْبُئْرِ مُزَاحِمًا الرُّجَالَ ، فَأَدْلَى الدَّلْوَ فِي الْبُئْرِ
وَاسْتَخْرَجَ الْمَاءَ ، فَسَقَى أَغْنَامَ الْفَتَاتَيْنِ ..

وَقَادَتِ الْفَتَاتَانِ أَغْنَامَهُمَا فِي طَرِيقِ الْعُودَةِ إِلَى دَارِهِمَا ..
أَمَّا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ عَادَ إِلَى الْجُلُوسِ تَحْتَ
شَجَرَةٍ مُسْتَظِلًّا بِظِلِّهَا ، وَهُوَ يَفْكُرُ فِيمَا سَيَفْعَلُ
فِي هَذَا الْبَلَدِ ، لِيَدْبِرَ حَالَهُ .. وَدَعَا رَبَّهُ قَائِلًا :

﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

أَمَّا الْفَتَاتَانِ فَقَدْ وَصَلَتَا إِلَى الْبَيْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا
أَبُوهُمَا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ مُتَعَجِّبًا وَقَالَ :
- أَرَاكُمَا عُدْتُمَا الْيَوْمَ مُبَكَّرًا ؟ !

فَقَالَتِ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ :

- قَابَلْنَا رَجُلًا كَرِيمًا ، فزَا حَمَّ الرُّجَالِ وَسَقَى لَنَا ..
وَقَالَتِ الْأُخْرَى :

- مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ غَرِيبٌ ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ
مَدِينٍ ..

وَقَصَّتِ الْفَتَاتَانِ عَلَى أَبِيهِمَا مَا قَامَ بِهِ مُوسَى مِنْ
عَمَلٍ شَهِمَ فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ ، وَطَلَبَ مِنْ إِحْدَى
ابْنَتَيْهِ أَنْ تَذْهَبَ وَتُنَادِيَ مُوسَى ، حَتَّى يُكَافِئَهُ
عَلَى عَمَلِهِ ..

وَصَلَتِ الْفَتَاةُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ
مُوسَى تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَوَقَفَتْ بَعِيدًا عَلَى

استحياء ، وقالت له :

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

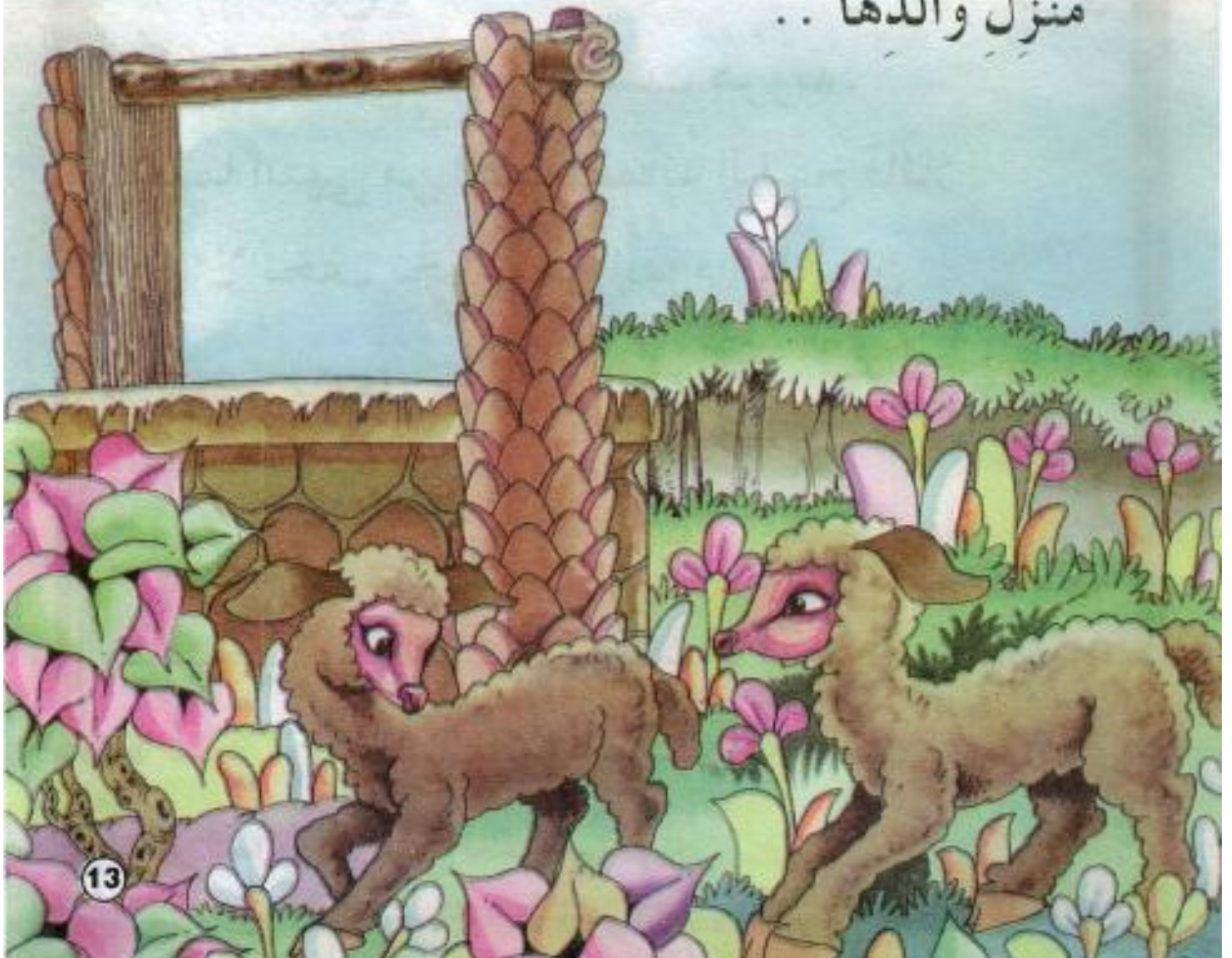
فتعجب موسى في نفسه قائلاً :

- أنا لا أنتظر أجراً على ما قُمتُ به من عمل ،

إنما قُمتُ بهذا العمل ابتغاء وجه الله تعالى ..

لكنه نهض وسار خلف الفتاة ، حتى وصل إلى

منزل والدها ..



وهناك استقبله الشيخ ، وشكره على ما قام به
 من عمل طيب .. ورأى على وجه موسى
 وملابسه غبار السفر ، فعرف أنه جائع ومتعب ،
 فطلب من ابنتيه تقديم طعام له ..
 وبعد أن أكل موسى وشرب حمد الله وشكره ،
 على هذا الرزق الذي ساقه إليه ..
 وبدأ الشيخ يسأله عن قصته ، فقص عليه موسى
 ما حدث له في مصر ، وسبب هروبه ..
 فلما انتهى من قصته طمأنه الشيخ قائلاً :
 ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
 وهم موسى عليه السلام بالانصراف ، فقالت إحدى
 الفتيات لأبيها :
 - استأجره ليعمل عندك يا أباي ، فهو خير من
 تستأجره ؛ لأنه قوي وسيكون قادراً على رعي
 الأغنام ، وهو في نفس الوقت أمين ..
 فقال الشيخ لموسى :

- أَرُغِبُ فِي أَنْ أَزُوجَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ ،
فَمَا قَوْلُكَ ؟

فَقَالَ مُوسَى :

- كُنْتُ أَوَدُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعِيَ نَقُودٌ لِأَدْفَعُ
لَهَا مَهْرًا ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

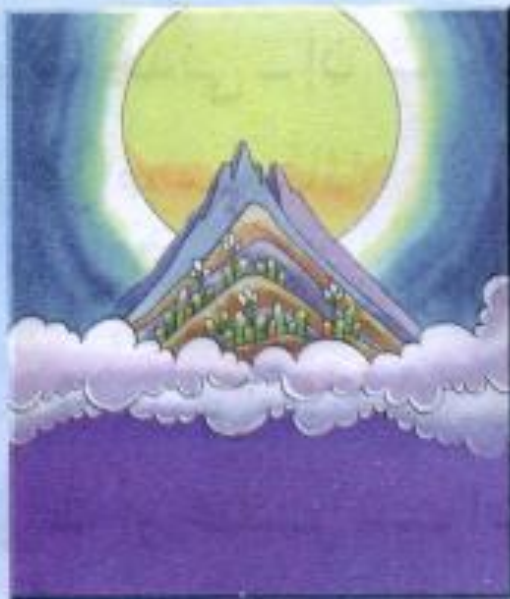
- سَأَسْتَأْجِرُكَ لِلْعَمَلِ عِنْدِي فِي مُقَابِلِ مَهْرِهَا
ثَمَانِي سَنَوَاتٍ ، فَإِنْ أَتَمَمْتَهَا إِلَى عَشْرِ سَنَوَاتٍ ،
سَيَكُونُ ذَلِكَ كَرَمًا مِنْكَ .. وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَتْعَبَكَ ،
وَسَوْفَ تَجِدُنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنَ الصَّالِحِينَ ..
فَوَافِقَ مُوسَى قَائِلًا :

- لَا بَأْسَ .. وَأَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْإِتِّفَاقِ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ ، سَوَاءٌ قَضَيْتُ فِي الْعَمَلِ عِنْدَكَ ثَمَانِي
سَنَوَاتٍ أَوْ عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، فَأَنَا حُرٌّ بَعْدَهَا فِي
التَّوَجُّهِ بِزَوْجَتِي حَيْثُ أَشَاءُ ..
فَقَالَ الشَّيْخُ :

أشْهَدُ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ ..

وهكذا تزوج موسى إحدى ابنتي الشيخ ، وعاش
في أرض مدين يرعى له الأغنام.

(تَمَّتْ)



قصص الأنبياء

الكتاب التالي

موسى عليه السلام

(٤) الوادي المقدس

أحرص على اقتنائه